الدعوة إلى الإسلام

بقلم

عبد الرزاق نوفل

دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة

تليفون ٣١٨١٠

الدعوة إلى الإسلام

بقلم

عبد الرزاق نوفل

دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المجموعة ...

من السلسلَةِ الإسلاميَّةِ ، إنما تَهدفُ إلى بيان حقائق الإسلام وما تحقِّقه عباداته وتكاليفُه للفرد والمجتمع .

وإن كانت هذه المجموعة تتخذ الطابع العلمى فى معالجتها لأُمور الإسلام لأَن العلم هو طابع هذا العصر ولغته العالمية ، فإن بساطة أُسلوبها يجعلها قادرة على تحقيق الهدف من إخراجها على هذه الصورة المبسطة ألا وهو وضعها بين أَيدى أَكبر عدد ممن يستطيعون قراءتها فيتمكنوا من استيعابها .

وهذا الكتاب ...

من هذه السلسلة وهو « الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ » إنما يهدفُ إلى بيان طرق الدعوة الإسلامية وواجب كلِّ فرد من المسلمين نحوها.

والله نسأَل أَن يوفقنا جميعًا للعمل على ما يُعلى كلمة الحق والدين . . وينشر الإسلام بين البشر أَجمعين . . إنه سميع مجيب . . آمين .

عبد الرزاق نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ) .

(صدق الله العظيم)

الدين والإنسان

لَمْ يَذْكُرِ التَّارِيخُ أَقوامًا بِغَيْرِ دِينٍ . . وَلَمْ تَعْرِفِ الْأَزْمانُ عَصْرًا كَانَ بِلَا دِينٍ . . فَأَوَّلُ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ الْمَكْتُوب إِنَّمَا تُسَجِّلُ أَنَّهُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ دِينٌ يَعْتَنِقُهُ . . وَعِبَادَاتٌ يُبَاشِرُهَا . . وَعَقَائِدُ يُؤْمِنُ بِهَا . . وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْقَدِيمَ أَيًّا كَانَ الْمَكَانُ الَّذِى وُجِدَتْ فِيهِ آثَارُهُ . . وَالْعَصْرُ الَّذِى عَاشَ فِيهِ هُوَ أَوْ أَجْدَادُهُ أَوْ أَحْفَادُهُ . . مَهْمَا اخْتَلَفَتْ حَضَارَاتُهُ وَثَقَافَاتُهُ وَمَهْمَا كَانَتِ الْأَزْمِنَةُ الَّتِى عَاشَ فِيهَا . . أَو الْمَنْطِقَةُ الَّتِى كَانَ بِهَا . . وَمَهْمَا تَبَايَنَ مَا خَلَّفَهُ مِنْ أَفْكَارٍ . . وَتَبَاعَدَتْ مُسْتَوِيَاتُ إِنْتَاجِهِ الذِّهْنِى . . فَإِنَّ الدِّينَ . . كَانَ دَائِمًا أَوَّلُ مَا يَهْتَمُّ بِهِ . . وَيَحْرِصُ عَلَيْهِ . . وَكَانَتْ صُوَرُ عِنَايَتِهِ بِدِينِهِ إِنَّمَا تَتَجَلَّى فِى تَمَسُّكِهِ بِهِ .. وَتَسْجِيلِهِ لِشَعَائِرِهِ .. وَاهْتِمَامِهِ بِدَعْوَةِ غَيْرِهِ إِلَيْهِ ..

وَإِذَا كَانَتِ الرُّسُومُ الْهِيرُوغْلِيفِيَّةُ الَّتِى وُجِدَتْ فِى أَوْرَاقِ الْبَرْدَى أَو الَّتِى صُوِّرَتْ عَلَى جُدُرِ الْمَقَابِرِ الْمُخْتَلِفَةِ تُعْتَبَرُ أَوَّلَ مُحَاوَلَات لِلْكِتَابَةِ فِى التَّارِيخِ . . فَتَكُونُ أَوَّلَ صَفْحَةٍ مِنْهُ ، بَلْ أَوَّلَ أَلْفَاظِ التَّارِيخِ الْمَكْتُوبِ هِىَ كَلِمَاتُ الدِّينِ . . . فَقَدْ وُجِدَتْ عَلَى أَوْرَاقِ الْبَرْدِى رُسُومٌ هِيرُوغْلِيفِيَّةٌ تَدْعُو النَّاسَ

إِلَى التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ وَتُبَشِّرُهُمْ بِالآخِرَةِ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ . .
وَاعْتَقَدَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدَمَاءُ عَنْ طَرِيقِ كَهَنَتِهِمْ وَهُمْ رِجَالُ الدِّينِ الَّذِينَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْقَدَاسَةُ الْكَامِلَةُ وَالطَّاعَةُ التَّامَّةُ أَنَّ الْعَالَمَ فِي الْأَصْلِ كَانَ فَضَاءً أَزَلِيًّا لَا حَرَكَةَ فِيهِ إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْكُتْلَةِ إِلَهُ الشَّمْسِ فَخَلَقَ الْحَيَاةَ وَأَنَّ إِلَه الشَّمْس كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ (الْمَوْجُودُ بِذَاتِهِ) . فَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقُدَمَاءَ آمَنُوا بِوُجُودِ إِلَه خَلَقَ الْحَيَاةَ وَالْأَحْيَاءَ ، وَلِأَنَّ الشَّمْسَ كانت تُمَثِّلُ فِي نَظَرِهِمْ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ وَالْبَقَاء ، فَإِنَّ اللهَ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ إِلَهَ الشَّمْسِ . . وَلِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَغَيْرُهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ الْمَوْجُودُ بِذَاتِهِ . . وَاعْتَقَدَ الْمِصْرِيُّونَ كَذَلِكَ أَنَّ إِلَهَ الشَّمْسِ عِنْدَمَا ظَهَرَ إِنَّمَا كَانَ يَقِفُ عَلَى حَجَرٍ هَرَمِيِّ الشَّكْلِ . . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا اعْتِقَادًا مِنْهُمْ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَكَمَا أَنَّ قِمَّةَ الْهَرَمِ هِيَ أَعْلَى مَكَان فِيهِ وَأَنَّ مَنْ عَلَيْهَا يَرَى كُلَّ قَاعِدَتِهِ . . فَكَذَلِكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ قِمَّةِ الْوُجُودِ لِيَرَى كُلَّ الْوُجُودِ . . وَلِذَلِكَ كَانَ الشَّكْلُ الْهَرَمِيُّ رَمْزًا مُقَدَّسًا عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ . . فَبَنَوْا مَقَابِرَهُمْ عَلَى شَكْلِ الْهَرَمِ . . كَمَا أَنَّ كُلَّ الْمَسَلَّاتِ الَّتِي وُجِدَتْ عِبَارَةٌ عَنْ قَاعِدَةٍ هِيَ كُلُّ الْجُزْءِ مِنَ الْمَسَلَّةِ فِيمَا عَدَا

الْجُزْءُ الْهَرَمِيُّ الشَّكْلِ الَّذِي فِي أَعْلَاهَا . . وَهُوَ الْجُزْءُ الْمُقَدَّسُ مِنْهَا وَالَّذِي تُقَامُ الْمَسَلَّةُ مِنْ أَجْلِهِ لِتَرْفَعَهُ عَالِيًا .

وَلَمَّا كَانَتْ مِثْلُ هٰذِهِ الْعَقَائِدِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ نَشَأَتْ فِي أَوْقَاتِ تَسْجِيلِهَا فَقَطْ . . وَإِنَّمَا لَا بُدَّ أَنَّهَا انْحَدَرَتْ إِلَى هٰؤُلَاءِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَبَقُوهُمْ . . فَإِنَّ الدِّينَ كَانَ مَوْجُودًا حَتْمًا قَبْلَ هٰذَا التَّارِيخِ . . وَلَيْسَ هٰذَا هُوَ الدَّلِيلُ الْوَحِيدُ عَلَى ذٰلِكَ .. إِذْ أَنَّ مَقَابِرَ الْإِنْسَانِ الَّتِي وُجِدَتْ وَتَرْجِعُ إِلَى مَاقَبْلَ التَّارِيخِ كَانَ بِهَا كُلُّ مَا يَلْزَمُ لِلْمَيِّتِ فِي حَيَاتِهِ الْأُخْرَى .. أَيْ أَنَّهم كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِالبَعثِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ .. وَهٰذَا الْإِيمَان مِنْهُمْ هُوَ إِيمَانٌ بِأُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ تَجْرِبَةٍ وَاقِعِيَّةٍ أَوْ عَاشَ فِيهَا مَنْ عَادَ لِيُنَبِّئَهُمْ بِهَا.. وَلٰكِنَّهَا يَقِينًا وَصَلَتْهُمْ عَنْ طَرِيقِ الدُّعَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يُبَشِّرُونَ بِالدِّينِ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْإِيمانِ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ ، فَالْإِنْسَانُ قَبْلَ التَّارِيخِ كَانَ يَعْتَنِقُ الدِّينَ . . وَإِذَا تَوَغَّلْنَا فِي زَمَان مَا قَبْلَ التَّارِيخِ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْإِنْسَان فِي أَزْمِنَتِهِ الْأُولَى ، فَإِنْ كَانَتِ الْأَزْمِنَةُ أَزْمِنَةَ حَضَارَةٍ زَاهِيَةٍ وَثَقَافَةٍ وَاعِيَةٍ فَلَابُدَّ أَنَّ الدِّين كَانَ أَسَاسا فِي مُعْتَقَدَاتِهِمْ إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي عُهُودِ الْحَضَارَةِ

فِي فَجْرِ التَّارِيخِ كَانَ يَهْتَمُّ بِالدِّينِ وَيُؤْمِنُ بِهِ . . وَإِنْ كَانَتْ الْأَزْمِنَةُ أَزْمِنَةَ جَهَالَةٍ وَبَدَاءَةٍ ، فَلَا بُدَّ أَنَّ الدِّينَ كَانَ أَوَّلَ مَا يُحَافِظُونَ عَلَيْهِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ . . إِذْ يُؤَكِّدُ ذَٰلِكَ مَا نَرَاهُ فِي الْقَبَائِلِ الْمُتَأَخِّرَةِ . . فَالْإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ تَعْرِفِ الثَّقَافَةُ طَرِيقَهَا إِلَيْهِ . . وَلَا الْحَضَارَةُ اتَّصَلَتْ بِهِ . . نَجِدُهُ يَخْضَعُ لِطُقُوسٍ يَقُومُ بِهَا . . وَعَقَائِدَ يُؤْمِنُ بِهَا وَكُلُّهَا إِنَّمَا تَبْدَأُ بِالدِّينِ أَوْ تَنْتَهِي إِلَيْهِ أَوْ تُشِيرُ نَاحِيَتَهُ .. وَهٰؤُلَاءِ إِنَّمَا يُمَثِّلُونَ أَيَّ حِقْبَةٍ مِنْ تَارِيخِ الْإِنْسَانِ اتَّسَمَتْ بِالْجَهَالَةِ وَكَانَتْ عَلَى حَالَةِ الْبَدَاءَةِ .

وَتَقْتَرِبُ بِذَٰلِكَ دَرَجَاتُ التَّسَلْسُلِ لِتَصِلَ إِلَى الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ الَّذِي عَنْ طَرِيقِ هٰذِهِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُعْتَنِقًا لِلدِّينِ . مُؤْمِنًا بِهِ . . دَاعِيًا إِلَيْهِ . . وَهَذَا الدِّينُ قَدْ خَالَطَ قَلْبَهُ . . وَخَامَرَ عَقْلَهُ . . وَامْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَأَنَّ الدِّينَ قَدْ أُوحِيَ بِهِ فِي دَاخِلِهِ . . يَقِينًا . . إِذْ نَجِدُ أَنْ نَسْلَ هٰذَا الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ . . تُوجَدُ النَّزْعَةُ الدِّينِيَّةُ فِي نَفْسِهِ طَبِيعِيَّةً وَأَنَّ الدِّينَ فِطْرِيٌّ فِيهِ . . فَالطِّفْلُ يُقْسِمُ بِرَبِّهِ . . أَوْ يَسْتَنْجِدُ بِاسْمِهِ . . أَوْ يُنَادِي عَلَيْهِ . . دُونَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي ذَٰلِكَ مَنْ عَلَّمَهُ . . أَوْ يُحَاكِي فِي ذَٰلِكَ مَنْ رَآهُ . . . وَلِهَذَا السَّبَبِ نَجِدُ أَنَّ عُلَمَاءَ

الْفَلْسَفَةِ وَأَسَاتِذَةَ التَّرْبِيَةِ قَدْ وَضَعُوا الْقِصَصَ الْعَدِيدَةَ الَّتِي تَحْوِي الإِيمَانَ الْفِطْرِيَّ . . كَقِصَّةِ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ . . الَّتِي كَتَبَهَا الْفَيْلَسُوفُ الْكَبِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طُفَيْلٍ مُنْذُ تِسْعَةِ قُرُونٍ وَأَسْمَاهَا أَسْرَارَ الْفَلْسَفَةِ الإِشْرَاقِيَّةِ وَتُرْجِمَتْ حِينَئِذٍ إِلَى اللَّاتِينِيَّةِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ يُتَرْجَمُ فِيهِ إِلَى هٰذِهِ اللُّغَةِ إِلَّا الْمَرَاجِعُ الْعِلْمِيَّةُ الْكَبِيرَةُ . وَهِيَ تَحْكِي قِصَّةَ طِفْلٍ وُجِدَ بِلَا أَبٍ أَوْ أُمٍّ فِي جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ فَتَبَنَّتْهُ غَزَالَةٌ فَأَرْضَعَتْهُ حَتَّى شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ وَمَاتَتِ الْغَزَالَةُ وَأَصْبَحَ وَحِيدًا فِي الْجَزِيرَةِ . . فَرَأَى بِنَفْسِهِ أَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ الَّتِي حَوْلَهُ خَاضِعَةٌ لِقَانُونِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، أَيِ الْوُجُودِ وَالْفَنَاءِ . . وَأَنَّ الْعَالَمَ الْمَنْظُورَ كُلَّهُ حَادِثٌ . . فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ . . وَاهْتَدَى بِنَفْسِهِ ، أَيْ بِفِطْرَتِهِ . . أَيْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ خَارِجِهِ إِلَى فِكْرَةِ الْخَالِقِ . . وَلِتَشَابُهِ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ فِي أُصُولِهَا وَفِي تَكْوِينِهَا . . فَلَا بُدَّ أَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْ فَاعِلٍ وَاحِدٍ . . فَآمَنَ بِإِلٰهٍ وَاحِدٍ . . وَلِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ حَوْلَهُ كُلَّهَا تَنْطِقُ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَمَالِ ، فَالْخَالِقُ إِذَنْ عَظِيمٌ . . وَحَكِيمٌ . . وَلِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَسِيرُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ وَالْفَنَاءُ . . وَيُخْلَقُ غَيْرُهُ . . فَإِذَنْ كُلُّ شَيْءٍ عَدَا الْخَالِقِ فَهُوَ إِلَى عَدَمٍ . . فَآمَنَ

بِاللهِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ الأَبَدِيِّ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ. هٰذَا الإِنْسَانُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ كَاتِبُ الْقِصَّةِ « حَيَّ بْنَ يَقْظَانَ » . . وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ حَضَرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ رَجُلٌ مُتَعَبِّدٌ . . لِيَأْخُذَه حَيًّا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِذْ أَنَّ فِي الْمَدِينَةِ مَنْ يُنَاقِشُ وَيُعَارِضُ ... بَيْنَمَا هُوَ الَّذِي عَاشَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَبِالْفِطْرَةِ ... قَدِ اطْمَأَنَّ وَاهْتَدَى ... فَالدِّينُ إِذَنْ فِطْرِيٌّ فِي النَّفْسِ .. قَدْ أَوْدَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا مُنْذُ خَلَقَ النَّفْسَ الأُولَى لِلْإِنْسَانِ الأَوَّلِ . . وَتُحَدِّثُنَا كَافَّةُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ آدَمَ أَوَّلِ إِنْسَانٍ خُلِقَ . . وَتُقَرِّرُ أَنَّهُ تَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ . . أُسُسَ الدِّينِ ...

وَالدِّينُ أَسَاسًا هُوَ الْقَانُونُ السَّمَاوِيُّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْبَشَرِ جَمِيعًا . . وَكَمَا أَنَّ كُلَّ قَانُونٍ إِنَّمَا يُحَدِّدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُتَعَامِلِينَ ، فَكَذٰلِكَ الدِّينُ . . إِنَّمَا يَزِيدُ الدِّينُ عَلَى الْقَانُونِ . . أَيِّ قَانُونٍ . . بِأَنَّهُ يُحَدِّدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . وَكَمَا أَنَّ كُلَّ قَانُونٍ إِنَّمَا تَنُصُّ مَوَادُّهُ الأُولَى عَلَى الْحَقَائِقِ الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا الْعِلَاقَاتُ بَيْنَ النَّاسِ . . كَذٰلِكَ الدِّينُ نَجِدُ أَنَّ مَوَادَّهُ الأُولَى قَدْ قَرَّرَتْ حَقَائِقَ غَيْبِيَّةً لَا يَعْرِفُهَا الإِنْسَانُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِهِ

وأوردَتْ الْحَقِيقَةُ الأُولَى فِى الْوُجُودِ وَهِىَ وُجُودُ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتُهُ وَاسْتِمْرَارُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعِقَابُ وَالْحِسَابُ فِى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى . . وَالدَّعْوَةُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ . . وَالنَّهْى عَنْ عَمَلِ الشَّرِّ . لِذَلِكَ نجد أَنَّ جَوْهَرَ الدِّينِ وَاحِدٌ فِى كَافَّةِ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ . . وَحَتَّى تِلْكَ الْأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِى لَايَعْرِفُ الْبَشَرُ عَنْ أُصُولِهَا شَيْئًا حَالِيًا سِوَى مَا تُرِكَ مِنْهَا مِنْ مَظَاهِرَ وَصُورَ نَجِدُ أَنَّهَا تَحْوِى أَوْ تُشِيرُ إِلَى الْحَقَائِقِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِى نَزَلَتْ بِهَا كَافَّةُ الْأَدْيَانِ الَّتِى أَعْقَبَتْهَا . .

فَفِى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ نَجِدُ رُسُومًا هِيرُوغْلِيفِيَّةً فِى أَوْرَاق بردِى قَدِيمَة عَنْ مُعْتَقَدَات لِلْمِصْرِيينَ قَبْلَ عَصْرِ الْمُلُوكِ جَاءَ فِيهَا مَا نَصُّهُ (اللهُ وَحْدَهُ لَا ثَانِىَ لَهُ يُودِعُ الْأَرْوَاحَ فِى الْأَشْبَاحِ . أَنْتَ الْخَالِقُ . تَخْلُقُ وَلَا تُخْلَقُ . خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) . . وَنَجِدُ فِى النُّسَخِ الْمُتَدَاوَلَةِ مِنَ التَوْرَاةِ فِى سِفْرِ التَثْنِيَةِ فِى الإِصْحَاحِ السَّادِسِ النَّصّ (الرَبُّ إِلٰهُنَا ربٌ وَاحِد) وَفِى نُسَخِ الانْجِيلِ الْمُتَدَاوِلَة فِى إِنْجِيلِ مَتّى فِى الإصْحَاح التَاسِعِ عَشَرَ نجِدَ النَص (لَيْسَ أَحَدَ صَالِحًا إِلّا وَاحِدٌ هُوَ اللهُ) وَفِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَجِدُ التَوْحِيدَ فِى مُعْظَمِ سُوَرِهِ الشَرِيفَةِ ،

وتَنْفَرِدُ بِهِ سُورَةٌ كَامِلَةٌ هِيَ سُورَةُ الإِخْلَاصِ وَنَصُّهَا : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ) .

وَفِي الدَّعْوة إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ نَجِدُها فِي مُتُونِ الْأَهْرَامِ عِنْدَ قُدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ عِنْدَ تَصْوِيرِ دُخُولِ الْمُتَوَفَّى قَاعَةَ الصِّدْقِ حَيْثُ يَقُولُ مَا نَصَّهُ (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِلٰهُ الْعَظِيمُ رَبَّ الصِّدْقِ لَقَدْ أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا إِلٰهِي .. وَلَقَدْ جِيءَ بِي إِلَى هُنَا حَتَّى أَرَى جَمَالَكَ . . إِنِّي فِي مَكَانِ الصِّدْقِ هَذَا لَمْ آتِ ذَنْبًا ، لمْ أَقْتَرِفْ أَيَّةَ خَطِيئَة . وَلَمْ أَرْتَكِبْ أَيّ شَيْءٍ خَبِيث وَإِنِّى لَمْ أَفعَلْ مَا يَمْقُتهُ الإِلٰه وَإِنِّى لَمْ أُبَلِّغُ ضِدَّ خَادم شَرًّا إِلَى سَيِّده . وَإِنِّى لَمْ أَتْرُكْ أَحَدًا يَتَضَوَّرُ جُوعًا . وَإِنِّى لَمْ أَتَسَبَّبْ فِي إِبْكَاءِ أَيِّ إِنْسَان . وَإِنِّى لَمْ أَرْتَكِبِ الْقَتْلَ وَلَمْ آمُرْ بِهِ . وَإِنِّي لَمْ أُسَبِّبْ تَعْسًا لِأَيِّ إِنْسَان . وَإِنِّي لَمْ أُنْقِصْ طَعَامًا فِي الْمَعَاد وَإِنِّى لَمْ أُنْقِصْ قُرْبَانَ الآلِهَة . وَإِنِّى لَمْ أَغْتَصِبْ طَعَامًا مِنْ قُرْبَانِ الْمَوْتَى ، وَإِنِّي لَمْ أَرْتَكِبِ الزِّنَا . وَإِنِّى لَمْ أَرْتَكِبْ خَطِيئَةً تُدَنِّسُ نَفْسِى فِي دَاخِلِ حُدُود بَلْدَة الْآله الطَّاهِرَة وَإِنِّي لَمْ أُخْسِرْ مِكْيَالَ الْحُبُوب ، وَإِنِّى لَمْ أُنْقِص الْمِقْيَاس .

وَإِنى لَمْ أُنْقِصْ مِكْيَالَ الْأَرْض وَإِنّى لَمْ أُثْقِلْ وُزنَ الْمِيزَان ، وَإِنّى لَمْ أُحَوِّلْ لِسَانَ كَفَّتى الْمَوَازِين وَإِنى لَمْ أَغْتَصِبْ لَبَنًا مِنْ فَمِ طِفْلٍ ، وَإِنّى لَمْ أَطْرُد الْمَاشِيَة مِنْ مَرَاعِيهَا ، وَإِنى لَمْ أَنْصب الشِّبَاكَ لِطُيُورِ الآلِهَة) .

وفِى الْأَسْفَارِ الْمُتَدَاوَلَة مِنَ التَّوْرَاة نَجِدُ فِى التَّثْنِيَة (لَاتَظْلِمْ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاء الَّذِينَ فِى أَرْضِكَ فِى أَبْوَابِكَ . فِى يَوْمِهِ تُعْطِيه أُجْرَتَهُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ لِئَلَّا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ ، فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ . لَا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَاد وَلَا يُقْتَلُ الْأَوْلَادِ عَنِ الآبَاءِ . كُلُّ إِنْسَان بِخَطِيته يُقْتَلُ) .

وَفِى الْأَنَاجِيلِ الْمُتَدَاوَلَة نَجِدُ فِى إِنْجِيل مَتَّى : (وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا . قَالَ لَهُ أَيَّةُ الْوَصَايَا . فَقَالَ يَسُوعُ لَا تَقْتُلْ ، لَا تَزْنِ ، لَا تَسْرِقْ ، لَاتَشْهَدْ بِالزُّورِ ، أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ) .

وَفِى الْقُرْآنِ الْكَرِيم نَجِدُ هٰذِه الدَّعْوَةَ فِى مُخْتَلَف سُوَرِه الشَّرِيفَة مِثْلَ قَوْلِه تَعَالَى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا). (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا).(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا . وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) .

وَالدِّينُ ضَرُورِيٌّ لِلْإِنْسَانِ . . وَأَسَاسٌ لِقِيَامِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ . . فَإِذَا تُرِكَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِسَجِيَّتِهَا دُونَ وَازِعٍ أَوْ رَادِعٍ لَارْتَكَبَتْ كُلَّ مَا يُفْسِدُهَا . . فَهِيَ تَوَّاقَةٌ لِكُلِّ مَا يُؤْذِيهَا . . وَأَمَّارَةٌ بِكُلِّ مَا يُسِيءُ إِلَيْهَا . . وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الدِّينَ وِقَايَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهَا . . وَعِلَاجٌ لَهَا مِنْ كُلِّ مَا قَدْ يَكُونُ أَصَابَهَا . .

وَإِنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ الدِّينُ إِنَّمَا يُحَقِّقُ صَالِحًا لِلْإِنْسَانِ فِى دُنْيَاهُ . وَيَكْتُبُ لَهُ فَوْزًا فِى أُخْرَاهُ . . وَكُلَّ مَا نَهَى عَنْهُ إِنَّمَا لِيَدْفَعَ بِهِ أَذًى أَكِيدًا عَنْهُ فِى حَيَاتِهِ . . وَيُسَبِّبُ لَهُ نَعِيمًا مُقِيمًا بَعْدَ مَمَاتِهِ .. وَالْإِنْسَانُ اجْتِمَاعِيٌّ بِخِلْقَتِهِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَعِيشَ مَعَ غَيْرِهِ بِطَبِيعَتِهِ . . فَالطِّفْلُ حَتَّى قَبْلَ وِلَادَتِهِ . . بَلْ فِى أَوَّلِ لَحَظَاتِ تَكْوِينِهِ إِنَّمَا يَعِيشُ فِى رَحِمِ أُمِّهِ . . وَتَتَرَتَّبُ لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ مَا يَجْعَلُهَا بِهَا تُحَافِظُ عَلَيْهِ . . وَتُدَافِعُ عَنْهُ . . ثُمَّ يُولَدُ لِيَشْتَرِكَ الْأَبُ وَالْأُمُّ مَعًا فِى وَاجِبَاتٍ عَلَيْهِمَا لَهُ . . مِنْهَا الْمَأْكَلُ وَالْمَلْبَسُ وَالرِّعَايَةُ بِكَافَّةِ صُوَرِهَا . . وَالتَّعْلِيمُ . . وَتَبْدَأُ هٰذِهِ الْحُقُوقُ مُنْذُ الرِّضَاعَةِ . . وَمِنَ الْحُقُوقِ مَالَا يَنْتَهِى إِلَّا بِالْمَوْتِ . . فَلَوْ أَنَّ الدِّينَ لَمْ يَتَدَخَّلْ فَيَحْمِيَ الطِّفْلَ مِنْ جَهَالَةِ أَبِيهِ . . أَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتُلَهُ ؟. . بَلْ كَثِيرًا مَا حَدَثَ ذٰلِكَ فِى عُصُورٍ خَيَّمَ الْجَهْلُ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهَا فَابْتَعَدُوا عَنِ الدِّينِ . . وَاعْتَنَقُوا بَدَلًا مِنْهُ خُرَافَاتٍ . . صَوَّرَتْهَا لَهُمْ عُقُولُهُمْ التَّافِهَةُ وَعَبَدُوا لِذٰلِكَ تَمَاثِيلَ صَنَعَتْهَا أَيْدِيهِمْ — وَتَبًّا لِأَيْدِيهِمْ — فَهِيَ يَقِينًا غَيْرُ طَاهِرَةٍ .. فَمَا يُرْجِعُ الْأَبُ عَنْ قَتْلِ ابْنِهِ وَمَا يَدْفَعُهُ لِلْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ غَيْرُ الدِّينِ . . وَيَكْبُرُ الِابْنُ . . وَيَسْتَوِى عُودُهُ . . فِى

الْوَقْت الَّذِى يَشِيخُ فِيهِ وَالِدُهُ . . فَيَبْذُلُ الابْنُ مِنْ مَالِهِ لأَبَوَيْه . . وَيَسْهَرَ اللَّيَالِىَ عَلَيْهِمَا . . وَكُلَّمَا اشْتدَّ الْعُمْرُ بِهِمَا . . عَادَا إِلَى الطُّفُولَةِ الذِّهْنِيّةِ . . وَانْتُقِصَتْ قُوَاهُمَا الْعَقْلِيَّةِ . . فَهَلْ غَيْرُ الدين يَدْفَعُه لِمُوَاصَلَةِ الإِحْسَان لَهُمَا . . وَالْعَذَبِ عَلَيْهِمَا . . وَتَحَمّل الأَذَى مِنْهُمَا ؟ . . وَالإِنْسَانَ فِى كُلّ حَالاَتِهِ . . إِنَّمَا يُعَامِلَ غَيْرَهُ . . بَائِعًا أَوْ مُشْتَرِيًا . . قَارِضًا . . أَوْ مُقْتَرِضا . . مُقِيما أَوْ مُرْتَحِلا . . بَلْ فِى كُلّ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِ تَجِدُهُ مُتَعَامِلاً وَلَا شَكّ مَعَ غَيرِهِ . . وكَمْ تَدْفَعُهُ نَفْسُه إِلَى أَن يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ حَقه . . وَكَمْ يَرْجُو لَوِ اسْتَطَاعَ أَن يُعْطِى أَقَلّ مِنْ حَق غَيْرِهِ . . تُرَى هَلِ الْقَانونَ الْوَضْعِىّ هُوَ الَّذِى يَمْنَعُه ؟ . . كَمْ مِنْ مَرّاتٍ يَنْفَرِدُ فِيهَا الانْسَان بِغَيْرِ حَقّهِ . . بَعِيدًا عَنِ الْقَانونِ . . وَأَبْعَدَ مِنْ مُتَنَاوَلِهِ . . فَيَجِدُ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ غَيْرُ الدِّينِ . وَقَدْ يَكْرَهُ الانْسَانَ غَيْرَهُ . . وَقَدْ يَزِيدُ الْكُرْهُ إِلَى الحِقْدِ . . وَقَدْ تَتَوَلَّدُ فِى نَفْسِهِ الرَّغْبَةُ فِى التَّخَلُّصِ مِنْهُ . . فَيُعِدّ عُدَّتَه . . وَيَكْمُنُ لَهُ فِى مَكَان لَا تَرَاهُ عَيْنُ إِنْسَان . . وَهُنَا يَمْنَعَهُ عَنْ ذَلِك إِيمانُهُ بِأَنَّ اللهَ يَرَاهُ فَهُوَ الرّقِيبُ الَّذِى لَا يَنَامُ . . وَمَا عُرِفَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الدينِ . . فالدينَ إِذَن يَحْمِى الإِنْسَانَ مِنْ شَرِ

نَفْسِه وَمِنْ شَرِّ غَيْرِهِ لَهُ . . وَمَا الْمُجْتَمَعُ الإِنْسَانِيُّ إِلَّا مَجْمُوعَةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مَعَ بَعْض وَلَا بُدَّ مِنْ دَوَام تَعَامُلِهِمْ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ . . فَالدِّينُ ضَرُورِيٌّ لِلإِنْسَانِ . . أَسَاسِيٌّ لِقِيَامِ الْمُجْتَمَعِ الإِنْسَانِيِّ . . لِأَنَّهُ الْقَانُونُ الْعَامُّ الَّذِي يَرْبِطُ الإِنْسَانَ بِرَبِّهِ عَنْ طَرِيقِ الإِيمَانِ بِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ . . وَيَرْبِطُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهُ . . أَوْ يَعِيشُونَ بِصُحْبَتِهِ وَحَتَّى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَجْمَعُهُمْ بِهِ إِلَّا الْبُنُوَّةُ لِآدَمَ وَهُمْ كَافَّةُ الْبَشَرِ . .

تتابع الأديان

لَمَا كَانَ الدِّينُ ضَرُورِيًّا لِكُلِّ إِنْسَان . وَأَسَاسِيًا لِقِيَام أَىِّ مُجْتَمَعٍ . . فَقَدْ بَدَأَ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِبِدَايَةِ الإِنْسَانِ فِيهَا . . وَكَانَ لَا بُدَّ حَتْمًا أَنْ تَتَتَابَعَ الْأَدْيَانُ . . إِذْ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ فَرْدَانِ هُمَا الإِنْسَانَ الْأَوَّلُ وَزَوْجَتُهُ . . تَنَاسَلَا . . وَتَزَايَدَ عَدَدُهُمَا . . وَتَشَعَّبَتْ الرَّغَبَاتُ . . وَاقْتَضَتْ حَاجَاتُ الإِنْسَانِ الْمُخْتَلِفَةُ وَحَالَاتُهُ الْمُتَغَيِّرَةُ هَذَا التَّتَابُعَ فِى الْأَدْيَانِ .

فَهَذَا آدَمُ وَحَوَّاءُ . . عَصَيَا رَبَّهُمَا وَهُمَا فِى الْجَنَّةِ . . بِأَنْ أَكَلَا مِنْ شَجَرَة نَهَاهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهَا . . فَتَغَيَّرَتْ بِذَلِكَ حَالَتُهُمَا وَأَصْبَحَا فِى حَالَة تَجْعَلُهُمَا لَا يَصْلُحَان لِسُكْنَى الْجَنَّةِ فَنَزَلَا إِلَى الأَرْضِ . . وَكَانَا مُؤْمِنَيْنِ بِاللهِ الْوَاحِدِ . . وَلَا يُشْرِكَانِ بِهِ شَيْئًا . . وَلَكِنَّهُمَا وَقَدْ نَزَلَا إِلَى الْأَرْضِ أَصْبَحَا فِى حَاجَة إِلَى أَنْ يَعْرِفَا طَرِيقَ عِبَادَةِ اللهِ وَهُمَا فِى الْأَرْضِ . . إِذْ أَنَّ أَمْرَهُمَا أَصْبَحَ مُخْتَلِفًا عَمَّا كَانَا عَلَيهِ . . فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِهِ أَوَّلَ دِينٍ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ . . لِيَعْرِف بِهِ كَيْفَ يَسْتَغْفِرُ

وَيَنْدَمُ وَيَتُوبُ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ . . ثُمَّ شَرَعَ لَهُ الطَّوَافَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي بَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مَعَ آدَمَ . . اسْتِمْرَارًا مِنْهُ لِعِبَادَةِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ . . وَتَشَبُّهًا بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَطُوفُونَ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَعْبُدُونَ . . وَتَمَاثُلًا مَعَ كُلِّ وَحْدَاتِ الْوُجُودِ الَّتِي تَطُوفُ وَتُسَبِّحُ حَوْلَ قُوَى مَوْجُودَةٍ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ . . قَبْلَ مُكَوِّنَاتِ الذَّرَّةِ إِذْ تَطُوفُ هَذِهِ حَوْلَهَا . . وَبَعْدَ مَجْمُوعَاتِ النُّجُومِ وَالْأَفْلَاكِ الَّتِي تَطُوفُ فِي الْوُجُودِ . إِذْ أَنَّهَا تَحْفَظُ عَلَيْهَا مَسَارَهَا وَاتِّجَاهَهَا . . ثُمَّ أَنْجَبَتْ حَوَّاءُ لِآدَمَ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ . . فَهَلْ يَا تُرَى يَتَزَوَّجُ الْوَلَدُ تَوْأَمَهُ الْبِنْتَ كَمَا رَغِبَ فِي ذَلِكَ أَحَدُ أَوْلَادِهِ . . أَمْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ ؟ . . فَأَوْحَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِآدَمَ أَنْ يُزَوِّجَ وَلَدَ بِتَوْأَمِ أَخِيهِ الْأُنْثَى . . وَهَكَذَا أَوْحَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِآدَمَ مِنَ الدِّينِ مَا هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ لِيَعِيشَ فِي الْأَرْضِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .

وَمَاتَ آدَمُ وَحَوَّاءُ . . وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ نَسْلُهُمَا . . وَتَتَابَعَتِ الْأَزْمَانُ . فَنَشَأَتْ أَجْيَالٌ بِهَا أَفْرَادٌ حَجَبَتِ الْمَادِّيَّةُ

عَنهمُ حَقَائِقَ الدِّينِ .. فَمِنهُم مَن ضلَّ الطَّرِيقَ إلى مَعرِفَةِ اللهِ . . وَمِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَ لَهُ خَيَالُهُ أَنَّ مَا يُرِيدُهُ هُوَ الدِّينُ . . وَحَتَّى لَا يَنْفَرِدُوا بَيْنَ النَّاسِ بِرَأْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى نَشْرِ وَإِذَاعَةِ عَقَائِدِهِمْ وَإِنْ كَانَت فَاسِدَةً . . وَلَكِنَّ رَحْمَةَ اللهِ بِالْإِنْسَانِ فِي كُلِّ أَجْيَالِهِ وَأَزْمَانِهِ تَأْبَى أَنْ يُتْرَكَ الإِنْسَانُ وَحِيدًا بِلَا عِنَايَةٍ .. ضَالًّا بِلَا هِدَايَة . . وَحَتَّى لَا يَتَعَلَّلَ الإِنْسَانَ عِنْدَ الْحِسَابِ بِأَنَّهُ لَمْ يُبَلَّغْ بِرِسَالَة . . وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أَيُّ دِيَانَة . . فَإِنَّ اللهَ جَلَّ شَأْنُهُ أَرْسَلَ الرُّسلَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى فَترَات مِنَ الزَّمَنِ . . وَلِأَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ . . كُلَّمَا وَضَحَتْ حَاجَةُ الْقَوْمِ إِلَى رِسَالَةٍ وَكُلَّمَا احْتَاجَ أَمْرُ الزَّمَنِ إِلَى دِيَانَة . .

وَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخ عَدَدَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ . . وَلَكِنَّهُمْ لَا شَكَّ يَبْلُغُونَ عَدَدًا كَبِيرًا . . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا . . وَقِيلَ عَشَرَةُ آلَاف . . وَتَرَدَّدَتْ أَرْقَامٌ بَيْنَ هَذَا وَذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّهُمْ كَثْرَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَدَى رَحْمَةِ اللهِ بِالإِنسَانِ .

وَلَمْ تَذْكُرِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ غَيْرَ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ . . فَمِمَّنْ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ سَيِّدِنَا آدَمَ . . نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَأَيُّوبُ وَيُونُسُ وَسُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ وَصَالِحٌ وَلُوطٌ وَهُودُ وَشُعَيْبُ وَالْيَاسُ وَيُوسُفُ وَإِدْرِيسُ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى . وَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ جَمِيعًا وَاحِدَةً . . عِبَادَةَ اللهِ وَتَوْحِيدَهُ . . وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) .

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)

(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ) .

وَتَزَايَدَ عَدَدُ سُكَّانِ الْعَالَمِ وَانْتَشَرَ الْعِبَادُ فِي مُخْتَلَفِ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ . . وَتَشَابَكَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ وَظَهَرَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللهِ . . وَضَلَّ الْقَوْمُ ضَلَالًا بَعِيدًا . . فَاتَّخَذُوا آلِهَةً عَلَى هَوَاهُم . . فَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولَهُ وَنَبِيَّهُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَرِيعَةٍ فِيهَا التَّوْحِيدُ وَالْهُدَى

وذَلِكَ بِنَصِّ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) .

وَجَاهَدَ سَيِّدُنَا مُوسَى مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جِهَادًا شَاقًّا . . فَكُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ . . سَأَلُوهُ وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ . . فَإِذَا قَالَ لَهُمْ إِنَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ . . الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . . قَالُوا إِذَنْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً . . وَحَتَّى بَعْدَ أَنِ اهْتَدُوا وَآمَنُوا . . بِمَا أَرَاهُمْ سَيِّدُنَا مُوسَى مِنْ مُعْجِزَاتٍ مَادِّيَّةٍ . . وَتَرَكَهُمْ لِفَتْرَةٍ يَتَلَقَّى فِيهَا الْوَحْيَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَعْلَى الْجَبَلِ . عَادَ لِيَجِدَهُمْ قَدْ صَنَعُوا بِأَيْدِيهِمْ تِمْثَالًا لِعِجْلٍ لِيَعْبُدُوهُ .

وَانْتَهَى زَمَنُ سَيِّدِنَا مُوسَى . . وَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهَةٌ حَتَّى حَرَّفَ الْقَوْمُ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَهُمْ . . فَأَبْعَدُوا مِنْهُ مَا أَرَادُوا وَأَثْبَتُوا فِيهِ مَا يَتَّفِقُ وَرَغَبَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَيُحَقِّقُ أَهْدَافَهُمُ الْمَادِّيَّةَ . . وَكُلَّمَا تَعَاقَبَتِ الأَعْوَامُ . . تَكَرَّرَ التَّحْرِيفُ وَزَادَ . . وَلَمْ يَكُنْ

ذلك بالمُسْتغرِب منهُمْ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى عَهْد رَسُولهم . . وَفِى وُجُود نَبِيهِمْ مُوسَى . . كَانُوا يُحَرِّفُونَ الْكلَمَ عَنْ مَوَاضعه . . فَلَيْسَ إِذَنْ بِالْعَجِيبِ أَنْ يُحَرِّفَ الْيَهُودُ التَّوْرَاةَ . . وَلَكنَّ الْعَجِيبَ أَلَّا يُحَرِّفُوهَا .

وَأَرْسَلَ اللهُ لَهُمْ رَسُولا بَعْد مُوسَى . . هُوَ سَيِّدُنَا عيسَى عَلَيْه السَّلَامُ ، وَأَوْحَى إِلَيْه الانْجِيلَ تَصْحيحًا للنُّسَخِ الْمُتَدَاوَلَة منَ التَّوْرَاة الْمُحَرَّفَة . . وَهدَايَةً وَرَحْمَةً لهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَليُرْشدَهُمْ إِلَى حَقَائقِ الدِّينِ . . كَمَا جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَاةَ . . وَأُصُولُ التَّعَامُل كَمَا أَنْزَلَهَا اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ . وَفِى ذَلكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ : (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لمَا بَيْنَ يَدَيْه منَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الانْجِيلَ فيه هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدقًا لمَا بَيْنَ يَدَيْه منْ التَّوْرَاة وَهُدًى وَمَوْعظَةً للْمُتَّقينَ) . وَكَمَا حَارَبَ الْقَوْمُ رَسُولَهُمْ وَنَبِيَّهُمُ الْأَوَّلَ سَيِّدَنَا مُوسَى . فَقَدْ حَارَبُوا . . سَيِّدَنَا عيسَى . . وَكَذَّبُوهُ . . وَطَارَدُوهُ . . وَحَتَّى هَؤُلَاءِ الَّذينَ آمَنُوا بِهِ .. وَاتَبَعُوهُ ..كَانُوا هَدَفًا لِحُرُوبِ شَدِيدَة .. وَتعذِيب أَليمٍ . لَا سيَّمَا بَعْدَ مَوْت سَيدنَا عيسَى . . وَظَلَّت الْحُرُوبُ

وَالاضْطِهَادَاتُ مِئَاتِ السِّنِين . . انْتَهَتْ فِيهَا الأَجْيَالُ الَّتِي عَاشَتْ مَعَ سَيِّدِنَا عِيسَى مُبَاشَرَةً . . أَوِ الَّتِي الْتَقَتْ بِأَصْحَابِهِ . . وَفِي أَجْيَالٍ بَعُدَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى الشُّقَّةُ . . انْتَهَتِ الْحُرُوبُ ضِدَّ الْمَسِيحِيِّينَ فَقَامُوا بِمُحَاوَلَاتٍ لِوَضْعِ أُسُسِ دِيَانَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حُرِمُوا مِنْ مُدَارَسَتِهَا أَوِ التَّحَدُّثِ عَنْهَا أَوِ اقْتِنَاءِ أَيِّ أَثَرٍ لَهَا طِوَالَ الأَجْيَالِ الْعَدِيدَةِ . . وَحَاوَلُوا اسْتِخْلَاصَ بَعْضِ مَا جَاءَ فِي إِنْجِيلِهِمُ الَّذِي فُقِدَ . . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتُ سَبَبًا فِي نُشُوءِ خِلَافَاتٍ بَيْنَ جَمْهَرَةِ الْمَسِيحِيِّينَ أَدَّتْ إِلَى ظُهُورِ فِرَقٍ عَدِيدَةٍ . . كُلُّ فِرْقَةٍ تَتَمَسَّكُ بِآرَاءٍ وَطُقُوسٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الأُخْرَى . . وَتَمَسُّ صُلْبَ الْعَقِيدَةِ وَأَسَاسَ الدِّينِ . . وَبَدَلًا مِنْ إِنْجِيلِ سَيِّدِنَا عِيسَى . . وُجِدَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ كِتَابًا . كُلُّهَا كُتِبَتْ بَعْدَ عَهْدِ سَيِّدِنَا عِيسَى بِأَزْمَانٍ طَوِيلَةٍ . . ثُمَّ اتُّفِقَ عَلَى الإِبْقَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ كُتُبٍ مِنْهَا سُمِّيَتْ بِأَنَاجِيلِ مَتَّى وَمُرْقُسَ وَلُوقَا وَيُوحَنَّا . . وَكَمَا تَدُلُّ عَلَيْهَا أَسْمَاؤُهَا فَهِيَ مِنْ وَضْعِ أَصْحَابِهَا تَأْرِيخًا لِحَيَاةِ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ . . وَاسْتُبْعِدَتْ بَاقِي الْكُتُبِ حَيْثُ لَا تَتَّفِقُ وَرَغَبَاتِ مَنْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِوَضْعِ

أُسس الدِّينِ . وأَهَمُّ هَذه الكُتُبِ إِنجِيلُ برْنَابَا الَّذى يُبَشِّرُ صَرَاحَةً بِرَسُول بَعْدَ سَيِّدنَا عيسَى يُرْسلُهُ اللهُ للْعَالَمينَ .

وَخَيَّمَتْ عَلَى الْعَالَمِ سُحُبٌ كَثيفَةٌ منَ الضَّلَال . وَقَلَّ عَدَدُ الْمُؤْمنينَ الْمُوَحدينَ . . فَالدِّيَانَةُ الْيَهُوديَّةُ الَّتى جَاءَ بِهَا سَيِّدُنا مُوسَى عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . . فَقَدَتْ أَسَاسَهَا بِتَحْرِيف التَّوْرَاة . ذَلكَ التَّحْرِيفُ الْمُتَعَمَّدُ الَّذى قَصَدَ بِه بَعْضُ الْيَهُود قَضَاءَ مَصَالحِهِمْ الدُّنْيَوِيَّة وَتَحْقيقَ أَغْرَاضِهِمُ الشَّخْصيَّة . . . وَظَهَرَتْ اليَهُودِيَّةُ الَّتى وَضَعَ أُسُسَها رِجَالُ الدُّنْيَا منْهُمْ . . بِكُتُبِ تَرْسمُ لَهُمْ طَرِيقَ اسْتغْلَال الْبَشَرِ . . وَاسْتعْمَارَ الْغَيْرِ . . وَهِيَ تَخْتَلفُ كَثيرًا عَنِ الدِّيَانَة الْحَقَّة . . الَّتى بَعَثَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُوسَى عليه السَّلَام . . وَالْمَسيحيَّةُ . . فَقَدَتْ أَصْلَهَا . بِفَقْد إِنجِيلِ سَيِّدنَا عيسَى عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . . وَبِذَلكَ وَجَدْنَا أَنَّهُ بَدَلَ التَّوْحيد الْمُطْلَقِ الَّذى تَأَذَّنَ بِه الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مُنْذُ آدمَ عَلَيْه السَّلَامُ . . قَد انْتَشَرَ الشِّرْكُ وَالْكُفْرُ . . فَمنْ قَائلٍ إِنَّ اللهَ ثَلَاثَةٌ . . وَمَنْ قَائلٍ إِنَّ الْمَلَائكَةَ بَنَات الله . .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَبْنَاءُ اللهِ . . وَغَيْرِهُم يُنْكِرُونَ وُجُودَ اللهِ وَيَكْفُرُونَ بِهِ . . وَغَيْرُهُمْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ . . أَوِ النُّجُومَ . . أَوِ النَّارَ . . أَوِ الشَّجَرَ . . وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ رِسَالَةٍ تَهْدِي الْعَالَمَ . . وَمِنْ رَسُولٍ يُرْشِدُ الْعِبَادَ .

وَفِي عَامِ ٥٧٠ بَعْدَ مِيلَادِ سَيِّدِنَا عِيسَى تَقَدَّمَ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيُّ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ كَبِيرٍ يَقُودُهُ وَقَدْ رَكِبَ عَلَى فِيلٍ ضَخْمٍ قَاصِدًا هَدْمَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي بَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مَعَ آدَمَ لِيَعْبُدَ فِيهَا اللهَ . . بِطَوَافِهِ حَوْلَهَا . . وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى الْبَيْتِ . . وَقَدْ أَفْزَعَهُمْ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا الَّذِي لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ فِي حَيَاتِهِمْ وَاسْتَعَدَّ أَبْرَهَةُ وَاقْتَرَبَ مِنْ الْكَعْبَةِ ، وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ مَقْصِدِهِ إِلَّا ضَرْبَةُ فَأْسٍ وَجَدَ بَعْضَ جُنُودِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمْ وَبَاءٌ قَذَفَتْهُ الطَّيْرُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللهُ مَعَ الْحِجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْمِيهِمْ بِهَا ، وَسَقَطُوا بِسَبَبِهِ بَعْدَ لَحَظَاتٍ مَوْتَى . . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَهُ . إِذْ وَجَدَ الإِصَابَاتِ تَنْتَشِرُ بِصُورَةٍ غَيْرَ مَعْهُودَةٍ . . وَالْوَبَاءُ يَسْتَفْحِلُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ . فَمَاتَ

كُلُّ الْجَيْشِ الَّذِى اقْتَرَبَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَرَجَعَ مُتَقَهْقِرًا كُلُّ مَنْ كَانَ فِى الطَرِيقِ إِلَيْهَا . وَفَرَّ أَبْرَهَةُ إِلَى الْيَمَنِ مُصَابًا يَلْتَمِسُ النَّجَاةَ . وَلَكِنَّهُ مَاتَ . لَا كَمَا مَاتَ غَيْرُهُ مِنْ أَفْرَادِ جَيْشِهِ . . وَلَكِنَّهُ مَاتَ بَعْدَ أَنْ لَقِيَ مِنْ عَذَابِ الْمَرَضِ مَا يَسْتَحِقُّهُ جَزَاءَ سُوءِ نِيَّتِهِ . . وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يُفَرِّقَ الْوَبَاءُ بَيْنَ الْمُعْتَدِينَ . . وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ الآمِنِينَ فَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ جَيْشِ الْغَاصِبِينَ . . وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ يَحْتَفِلُونَ بِانْتِصَارِ الْحَقِّ الْمُبِينِ . . وَفِى غَمْرَةِ الاحْتِفَالَاتِ الْبَاهِرَةِ . . وَالْأَفْرَاحِ الشَّامِلَةِ . . بِانْسِحَابِ المُعْتَدِينَ الْغَاشِمِينَ . . وَانْدِحَارِ الْمُسْتَعْمِرِينَ وُلِدَ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ أَشْرَافِ مَكَّةَ . . طِفْلٌ يَتِيمٌ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِهِ حَامِلٌ . وَكَانَ مَوْلِدُ هَذَا الطِّفْلِ فِى هَذَا الْعَامِ الَّذِى انْتَصَرَ الْحَقُّ فِيهِ عَلَى الْبَاطِلِ بِقُدْرَةِ اللهِ رَحْمَةً مِنَ اللهِ لِلْعَالَمِينَ . . وَهِدَايَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ . . فَفِى الْيَوْمِ الثَّانِى عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَهُوَ الشَّهْرُ الْمُوَافِقُ لِأُغُسْطُسْ مِنْ عَامِ ٥٧٠ م الَّذِى سُمِّيَ بِعَامِ الْفِيلِ وُلِدَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنَ السَّيِّدَةِ آمِنَةَ هَذَا الطِّفْلُ الَّذِى تَقُولُ أُمُّهُ . . إِنَّهَا لَمْ تَجِدْ مَشَقَّةً فِى حَمْلِهِ وَلَا فِى وِلَادَتِهِ .

وَأَنَّهُ مَا إِنْ خَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَعِنْدَمَا ذَهَبُوا بِالطِّفْلِ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَهُمْ يَحْتَفِلُونَ فِي الْكَعْبَةِ بِنَجَاتِهَا مِنْ كَيْدِ الْمُعْتَدِينَ . . وَبِمِيلَادِ هَذَا الطِّفْلِ الْيَتِيمِ قَالَ جَدُّهُ لَقَدْ أَسْمَيْتُهُ مُحَمَّدًا لِيَحْمَدَهُ اللهُ فِي السَّمَاءِ وَيَحْمَدَهُ الْخَلْقُ فِي الْأَرْضِ .

وَكَانَ مِيلَادُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ بِدَايَةَ تَارِيخٍ جَدِيدٍ لِلْبَشَرِيَّةِ . حَيْثُ أَرَادَ اللهُ بِهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى أَنْوَارِ الْإِيمَانِ وَمِنْ ضَلَالَاتِ الشِّرْكِ . . إِلَى هِدَايَةِ التَّوْحِيدِ .

الإسلام دين عام

يُقَرِّرُ التَّارِيخُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ فِي طُفُولَتِه كَغَيْرِه مِنَ الْأَطْفَالِ ، وَيُجْمِعُ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّهُ فِي شَبَابِه لَمْ يَكُنْ كَغَيْرِه مِنَ الشَّبَابِ . . فَلَمْ تُعْرَفْ عَنْهُ نَقِيصَةٌ مِمَّا يَأْتِيهَا الْأَطْفَالُ . . وَلَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يَلْهُوَ . . كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ الشَّبَابِ . . إِذْ كَانَ مُنْذُ طُفُولَتِه الصَّادِقَ الْأَمِينَ . وَلِذَلِكَ فَقَدْ لُقِّبَ مُنْذُ حَدَاثَتِه بِالْأَمِينِ . . وَأَمَّا فِي شَبَابِه فَكَانَ الْعَفَّ الطَّاهِرَ النَّزِيهَ . . وَإِذَا اخْتَصَمَتِ الْجُمُوعُ فَكَانَ نِعْمَ الرَّأْيُ مَا يَرَاهُ . . وَإِذَا وَجَبَتْ شَهَادَةٌ اتَّجَهَ النَّاسُ إِلَيْهِ . . فَالْحَقُّ دَائِمًا مَا يَشْهَدُ بِه . . وَالْبَاطِلُ مَا عَرَفَ الطَّرِيقَ أَبَدًا إِلَيْهِ .

نَشَأَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . . وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ صَنَمُهَا . . وَلِكُلِّ أُسْرَةٍ وَثَنُهَا . . بَلْ وَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مَعْبُودُهُ الَّذِي يَجْعَلُهُ مَعَهُ أَيْنَمَا حَلَّ أَوِ ارْتَحَلَ . . وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ وَلَوْ لِفَتْرَةِ طُفُولَتِه أَوْ شَبَابِه . . فَهَذَا مَا وَجَدَ عَلَيْهِ آبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ . . وَقَوْمَهُ

سَادَتَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ . . وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ يُعِدُّهُ إِعْدَادًا خَاصًا لِتَلَقِّى أَطْهَر وَأَعْظَمِ رِسَالَة فِى الدُّنْيَا . فَعَصَمَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . . فَلَمْ يُقَبِّلْ وَثَنًا . . وَلَمْ يُقَدِّسْ صَنَمًا . . وَإِنَّمَا نَظَرَ بِبَصَرِهِ وَبَصِيرَتِه . . وَفَكَّرَ بِعَقْلِه . . وَقَلْبِه . . كَيْفَ رُفِعَتِ الإِبِلُ ؟ . . وَوَجَدَ النُّجُومَ تَمْلَأُ صَفْحَةَ السَّمَاءِ . . تُرَى مَنْ يُمْسِكُ هٰذِه النُّجُومَ . . فَلَا تَتَصَادَمُ . . أَوْ تَتَهَاوَى ؟ . . وَمَنْ يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ؟ . . تُرَى أَىُّ قُوَّة عَاقِلَة مُدَبِّرَة حَكِيمَة . . وَرَاءَ هَذَا الْكَوْن ؟ . . وَمَا بَالُ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ . . يَنْحِتُونَ مِنَ الْأَحْجَارِ تَمَاثِيلَ . . ثُمَّ يَعْبُدُونَهَا . . وَيَصْنَعُونَ بِأَيْدِيهِمْ أَصْنَافًا مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَدِيد ثُمَّ يُقَدِّسُونَهَا ؟ . . تُرَى هَلْ تَمْلِكُ لَهُمْ هٰذِه الأَصْنَامُ نَفْعًا أَوْ ضَرًا . . ؟ . . وَكَمْ مِنْ مَرَّة وَقَعَ مِنَ الْقَبِيلَة صَنَمُهَا فَانْكَسَرَ وَالْتَمَسَتْ لَهَا صَنَمًا غَيْرَهُ . . وَمَا عَرَفَتْ أَنَّ الصَّنَمَ لَمْ يُمْكِنْهُ دَفْعَ الأَذَى عَنْ نَفْسِه . . فَكَيْفَ يَدْفَعُهُ عَنْ غَيْرِه ؟ . . حَقًّا إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ ضَالُّونَ .

وَشَعَرَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِرَغْبَة شَدِيدَة فِى أَنْ يَخْتَلِيَ بِنَفْسِه بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ . حَتَّى يَكُون بِمَعْزِلٍ

عَمَّا يَرْتَكِبُهُ قَوْمُهُ مِنْ خَطَايَا وَذُنُوبٍ . . وَحَتَّى يَتَجَرَّدَ لِلتَّأَمُّلِ . .
فَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا مُنْقَطِعًا فِى جَبَلٍ بَعِيدٍ . . هُوَ غَارُ حِرَاءٍ . .
إِذَا نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَدَهَا مِنْهُ قَرِيبَةً . . وَإِذَا نَظَرَ إِلَى بَطْنِ
مَكَّةَ . . وَجَدَ نَفْسَهُ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهَا . . وَعَمَّا يَرْتَكِبُونَهُ . .
وَحَدَّدَ لِنَفْسِهِ شَهْرًا كُلَّ عَامٍ . . هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ . . يَعْتَكِفُ
فِيهِ فِى الْغَارِ فَلَا يُغَادِرُهُ إِطْلَاقًا . . يَتَأَمَّلُ ، وَيَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنْ
هٰذِهِ الْقُوَّةِ الَّتِى خَلَقَتْهُ وَخَلَقَتْ الْعَالَمَ وَالَّتِى تُسَيْطِرُ عَلَى كُلِّ
الْوُجُودِ . . هٰذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِى لَا يَحُدُّهَا بَصَرٌ . . وَلَا يُحِيطُ بِهَا
عَقْلٌ . . فَهِىَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِى كُلِّ مَكَانٍ . . لِأَنَّ أَىَّ مَكَانٍ . .
وَكُلَّ مَا فِيهِ . . إِنَّمَا هُوَ فِى حَاجَةٍ إِلَى هٰذِهِ الْقُوَّةِ . . لِيُوجَدَ
وَيَقُومَ . . وَيَسْتَمِرَّ . .

وَمَرَّتْ الْأَعْوَامُ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ مَشَاهِدَ الْعَظَمَةِ الْخَالِقَةِ فِى كُلِّ
مَا حَوْلَهُ .. وَيَرَى الرُّؤْيَا لَيْلًا فِى مَنَامِهِ .. فَإِذَا بِهَا تَتَحَقَّقُ فِى نَهَارِهِ
جَلِيَّةً وَاضِحَةً . . وَكَمَا رَآهَا بِلَا تَغْيِيرٍ أَوْ تَعْدِيلٍ . . وَيَرْقُبُ
شَهْرَ اعْتِكَافِهِ لِيَخْلُوَ فِيهِ إِلَى نَفْسِهِ وَيَزِيدَ دَرَجَةَ تَأَمُّلِهِ . . حَتَّى

بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِه وَهُوَ سِنُّ الْكَمَالِ الْجِسْمِيِّ وَالْعَقْلِيِّ لِلإِنْسَانِ فَإِذَا بِهِ وَهُوَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنِ اعْتِكَافِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . . يَسْمَعُ صَوْتًا فِي الْغَارِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنَبَاتِه . وَهُوَ يَأْمُرُهُ بِقَوْلِه (اقْرَأْ) . . وَمَا كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ . . فَيُجِيبُهُ قَائِلا (مَا أَقْرَأُ) . . وَيَتَكَرَّرُ الْأَمْرُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ مَرَّةً ثَالِثَة . وَيَرُدُّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نَفْسَ الرَّدِّ ، وَهُنَا يَظْهَرُ الْمَلَاكُ الَّذِي يُحَدِّثُهُ . . وَيَضُمُّهُ ضَمَّةً قَوِيَّةً وَيَقُولُ لَهُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) . وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ آيَاتِهِ الشَّرِيفَة . . وَكَانَ الْمَلَاكُ هُوَ جِبْرِيلُ الأَمِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَتَتَابَعَ نُزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَتَّى تَمَّتْ آيَاتُهُ وَالَّتِي بَلَغَ عَدَدُهَا ٦٢٣٦ آيَة شَرِيفَة تَحْتَوِيهَا مِائَةٌ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَة وَكَانَتْ آخِرُ آيَاتِهَا الْكَرِيمَة هِيَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) بَعْدَ

ثَلَاثَة وَعشْرِينَ عَامًا منْ نُزُول أَوَّل آيَاته الشَّرِيفَة . . وَبِذَلكَ نَزَلَ آخرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّة منَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَاتمِ الرُّسُل وَالنَّبِيِّينَ سَيِّدنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالدينِ الإِسْلَامِىِّ . آخرِ الْأَدْيَانِ وَأَتَمِّهَا .

وَلَمْ يُرْسَلْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ إِلَى قَوْمِه فَقَطْ. كَمَا أُرْسلَ بَاقِى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاء ، وَلَكنَّهُ أُرْسَلَ للْعَالَمينَ جَميعًا ليَهْدِىَ النَّاسَ أَيْنَمَا كَانُوا . . فَفِى بِلَاد الْعَرَبِ حَيْثُ كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ كَانَ الْقَوْمُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . . وَفِى غَيْرِهَا . . كَانَت الْيَهُودِيَّةُ الْمُنحَرِفَةُ وَالْمَسِيحيَّةُ غَيْرُ الصَّحيحَة . . وَكَانَ الْمُؤمنُونَ بِالله الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِشَرَائعِ مُوسَى وَعِيسَى قلَّةً لَا تَكَادُ تُذْكَر . . وَلذَلكَ فَقَدْ أُرْسِلَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ للنَّاس جَميعًا . . بَيْنَمَا أُرْسلَت الرُّسُلُ منْ قَبْله إِلَى أَقْوَامهمْ فَقَطْ . فَنَجدُ فِى النُّسَخِ الْمُتَدَاوَلَة منَ التَّوْرَاة وَالْأَنَاجيلِ النُّصُوصَ الَّتِى تُؤَكِّدُ ذَلكَ إِذْ تَقُولُ أَسْفَارُ التَّثْنيَة عَنْ رِسَالَة سَيِّدنَا إِبْرَاهيمَ (وَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَامَ اذْهَبْ منْ أَرْضكَ وَمنْ عَشيرَتكَ ومنْ بَيْت أَبيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى أُرِيكَ . فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمُ اسْمَكَ وَتَكُونُ

بَرَكَةً) وَعَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى تُرَدِّدُ أَسْفَارُ الْخُرُوجِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا أَرْسَلَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيل بِالنَّصِّ (وَقَالَ اللهُ أَيْضاً لِمُوسَى هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي يَهْوَهُ إِلَهُ آبَائِكُمْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ) وَعَنْ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ يَقُولُ إِنْجِيلُ مَتَّى (هَؤُلَاءِ الإِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا . بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ) وَعَلَى لِسَانِهِ يَقُولُ نَفْسُ الإِنْجِيلِ (فَأَجَابَ وَقَالَ لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ) . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) .

(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

(وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) .

وَكَذَلِكَ كَافَّةُ الرُّسُلِ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ) أَمَّا عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقُولُ الآيَاتُ الشَّرِيفَةُ :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُعْجِزَةَ الَّتِي أَيَّدَ اللَّهُ بِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخْتَلِفُ عَنْ بَاقِي الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَيَّدَ بِهَا الرُّسُلَ السَّابِقِينَ حَتَّى تَكُونَ صَالِحَةً لِكُلِّ الأَجْيَالِ .. فَكَانَتْ مُعْجِزَةُ سَيِّدِنَا مُوسَى فِي عَصَاهُ الَّتِي إِذَا أَلْقَاهَا تَحَرَّكَتْ وَاهْتَزَّتْ .. وَكَانَ السَّحَرَةُ قَدْ بَرَعُوا فِي وَقْتِهِ فَكَانُوا إِذَا أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ خُيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا تَهْتَزُّ .. فَكَانَتْ عَصَا مُوسَى إِذَا أَلْقَاهَا تَفُوقُ حِبَالَهُمْ بَلْ وَتَلْقَفُهَا .. وَكَانَتْ مُعْجِزَةُ سَيِّدِنَا عِيسَى .. فِي إِبْرَائِهِ الْمَرْضَى الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ الطِّبُّ يَسْتَطِيعُ

شِفَاءَهُمْ .. وَأَحْيَاءَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ .. وَخَلَقَ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ .. وَنَفَخَ فِيهِ فَأَصْبَحَتْ طَيْرًا بِإِرَادَةِ اللهِ .. وَكُلّ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ مَادِيَّةٌ وَوَقْتِيَّةٌ .. يُؤْمِنُ بِهَا مَنْ يَرَاهَا .. وَقَدْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا مَنْ تَصِلُهُ أَخْبَارُهَا عَنْ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ .. وَقَدْ نَجِدُ مَنْ يُنْكِرُ رِسَالَةَ الرّسلِ لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا إِلاَّ مَا يَصِلُهُ عَنْ غَيْرِهِ .. وَبِذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَاتِ كَانَتْ لِأَقْوَامِ الرُّسُلِ إِذْ رَأَوْا الْمُعْجِزَاتِ فَآمَنُوا .. وَنَشَأَتْ أَجْيَالٌ تَثِقُ فِيمَا نُقِلَ إِلَيْهَا مِنْ الآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ.. وَلَكِنْ تَتَابُعِ الْأَجْيَالِ أَوْجَدَ مِنْ الْمَلَاحِدَةِ مَنْ أَثَارُوا الشَّكَّ فِى هَذِهِ الرِّسَالَاتِ .. وَأَمَّا مُعْجِزَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً دَائِمَةً وَبَاقِيَةً يَرَاهَا النَّاسُ فِى مُخْتَلَفِ الْأَجْيَالِ وَشَتَّى الْأَزْمَانِ .. وَلِيَعْرِضُوهَا عَلَى عُقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ فِى أَىِّ وَقْت فَيَجِدُوا فِيهَا السَّبِيلَ إِلَى الاقْتِنَاعِ بِرِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهَا لِلبَشَرِ كَافَّةً وَلِمُخْتَلَفِ الْعُصُورِ .. هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ هِىَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .. الَّذِى تَتَدَاوَلُ طَبَعَاتُهُ كَمَا تَرَكَهَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنَلْهُ أَىِّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَحْرِيفٍ .. وَلَمْ تَدْخلْ عَلَيْهِ أَىْ زِيَادَةِ أَوْ تَعْدِيلٍ ..

طِوَالَ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا الَّتِي مَضَتْ مُنْذُ نُزُولِهِ إِلَى الْيَوْمِ والذى ظَلَّ فِيهَا مَوْضِع الإِعْجَازِ والإِقْنَاعِ وَالذِى سَيَظَل كذلِك إلى يَوْمِ الدين ..

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ رِسَالَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ رِسَالَةٌ عَامَّةٌ لِلنَّاسِ كافَّةً أَنَّنَا نَجِدُ أَنْ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وُجُوهًا لِلْإِعْجَازِ بِحَيْثُ تَكْفِي لإِقْنَاعِ طَبَقَاتِ الْبَشَرِ عَلَى اخْتِلَافِ ثَقَافَاتِهِمْ وَأَيًّا كَانَتْ لُغَاتُهُمْ .. وَالْأَزْمِنَةُ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا .. فَكَمَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزًا مِنْ عَشَرَاتِ الْمِئَاتِ مِنَ السِّنِينِ .. فَهُوَ قِمَّةُ الْإِقْنَاعِ وَمَوْضِعُ الْإِعْجَازِ فى عَصْرِنَا الْحَالِيِّ .. وَسَيَكُون كَذَلِكَ بَعْدَ آلَافِ السِّنِينَ ..

يَجِدُ فِيهِ الْعَرَبُ أَيْنَمَا كَانُوا وَفى أَىِّ وَقْت وُجِدُوا مِمَّنْ يَتَخَصَّصُونَ فى اللُّغَةِ مَا وَجَدَهُ فِيهِ أَجْدَادُهُمْ حِينَ نَزَلَ وَكَانُوا سَادَةَ الْبَيَانِ وَأَرْبَابَ الْكَلَامِ .. فَهُوَ فَوْقَ مُسْتَوَى الْبَشَرِ .. وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ يَأْتُوا مُجْتَمِعِينَ بِآيَة مِنْ مِثْلِهِ .. فَعَجَزُوا وَآمَنُوا بِهِ .

وَيَجِدُ فِيهِ الْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْمُشَرِّعُونَ وَالْقُضَاةُ كُلَّ الْقَوَاعِدِ الْأَصِيلَةِ الْحَكِيمَةِ لِلتَّشْرِيعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْجِنَائِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي تَلْزَمُ الْبَشَرِ فى حَيَاتِهِمْ . وَقَد اعْتَرَفَتِ الْمُؤْتَمَرَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ الَّتِي عُقِدَتْ أَخِيرا بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُعْتَبَرُ أَصْلا رَائِعًا مِنْ أُصُولِ التَّشْرِيعِ الْعَالَمِيِّ وَيَسْبِقُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِتَشْرِيعَاتِهِ آمَالَ الْفُقَهَاءِ وَالْبُحَاثِ فى التَّشْرِيعاتِ الْمِثَالِيَّةِ التى مَا زَالَ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا الإِنْسَانُ ..

وَفى عَصْرِ النَّهْضَةِ الْعِلْمِيةِ الْحَالِيَّةِ وَجَدْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ أَوْرَدَ الْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةِ الَّتى لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ إلا بَعْدَ أَنْ جَنَّدَتْ الدُّوَلُ أَكَابِرَ الْعُلَمَاءِ وَتَبَادَلَتْ شَتَّى الآراءِ .. وَاكْتَشفَتْ آلاَتَ الرَّصْدِ وَالْقِيَاسِ .. وَوَسَائِلَ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْبِيرِ وَأَجْهِزَةَ الْفَحْصِ وَالتَّحْلِيلِ .. فَرِجَالُ الْعِلْمِ وَطُلَّابُهُ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَدْيَانِ يَجِدُونَ فى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُعْجِزَةَ الَّتى لَا تُبَارَى .. إِذْ كَيْفَ يَقُولُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ مَهْمَا كَانَتْ دِرَاسَاتُهُ وَثَقَافَتُهُ وَدَرَجَةُ عِلْمِهِ .. بِحَقَائِقِ عَنِ الْفَضَاءِ وَالطِّبِ وَالْفَلَكِ

وَكَافَّةِ قُطَاعَاتِ الْعِلْمِ .. الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا الْعَالَمُ إِلَّا فِي السِّنِينَ الْقَلِيلَةِ الْأَخِيرَةِ .. وَكَيْفَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمِّيُّ الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ؟

وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ يَجِدُونَ فِيهِ آيَاتِ اللهِ وَشَوَاهِدَ التَّوْحِيدِ .. فَتَبْعَثُ فِي قُلُوبِهِمُ الطَّمَأْنِينَةَ وَتُضْفِي عَلَى نُفُوسِهِمُ السَّكِينَةَ ..

وَغَيْرُهُمْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فَيُحِسُّونَ بِإِيقَاعِ مُوسِيقَى رَائِعٍ يَسْحَرُ أَلْبَابَهُمْ وَيُثِيرُ فِيهِمْ حَمَاسَهُمْ لِعِبَادَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ .. وَالْإِيمَانِ بِهِ ..

بَلْ إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ أَيًّا كَانَ .. وَفِي أَيِّ مُسْتَوًى هُوَ .. لَيَجِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِذَا مَا اسْتَوْعَبَ آيَاتِهِ .. أَوْ أَنْصَتَ إِلَى تِلَاوَتِهِ.. أَوْجُهًا مِنَ الْإِعْجَازِ تَجْعَلُهُ يُؤْمِنُ إِيمَانًا كَامِلًا بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ إِنَّمَا هُوَ وَحْيُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. أَنْزَلَهُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ دِينُ اللهِ الْخَالِدُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِيَكُونَ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ لِكَافَّةِ عِبَادِهِ .

الدعوة الإسلامية

بَدَأَتِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حِينَمَا دَعَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وَاتَّسَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْطَقَةُ الدَّعْوَةِ وَزَادَ عَدَدُ مَنْ قَامَ الرَّسُولُ بِإِبْلَاغِهِمْ أَمْرَ هَذَا الدِّينِ .. وَلَمْ يَكُنْ نَشْرُ الدِّينِ الْإِسْلَامِىِّ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ .. وَلَمْ تَكُنِ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِالشَّىْءِ الْيَسِيرِ .. فَالْعَرَبُ قَوْمٌ ذَوُا جَهَالَةٍ وَعَصَبِيَّةٍ .. فَكَيْفَ يَتْرُكُونَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ إِلَى أَمْرٍ جَدِيدٍ مَا عَهِدُوهُ .. وَإِلَى دِينٍ يُخَالِفُ مَا أَلِفُوهُ .. لِذَلِكَ فَقَدْ حَارَبَ الْعَرَبُ هَذَا الدِّينَ بِالطَّاقَةِ الْكَامِلَةِ مِنْ كُلِّ إِمْكَانِيَّاتِهِمْ .. بِالْإِشَاعَةِ .. وَالْمُقَاطَعَةِ .. وَالْفِتَنِ ثُمَّ بِالْعُرُوضِ السَّخِيَّةِ .. فَقَدْ عَرَضُوا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَنْ يُوَلُّوهُ مُلْكَ بِلَادِهِمْ وَأَنْ يَجْمَعُوا لَهُ كُلَّ مَا يَشَاءُ مِنَ الْمَالِ .. عَلَى أَنْ يَتْرُكَ لَهُمْ أَصْنَامَهُمْ يَعْبُدُونَهَا .. فَلَمَّا لَمْ يَسْتَجِبْ لَجَأُوا إِلَى الْحَرْبِ بِكُلِّ وَسَائِلِهَا .. وَكَانَ قِتَالُ السَّيْفِ أَقَلَّهَا شَأْنًا .. فَقَدْ لَجَأُوا إِلَى الدَّسَائِسِ وَالْمُؤَامَرَاتِ الْخَفِيَّةِ وَالْعَلَنِيَّةِ .. وَصَبَرَ رَسُولُ اللهِ وَصَبَرَتْ مَعَهُ صَحَابَتُهُ الصَّادِقَةُ فِى إِيمَانِهَا .. الْمُخْلِصَةُ لِإِسْلَامِهَا .. وَهَاجَرَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِمَّنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَحَمُّلَ الْأَذَى أَوْ

دَفْعَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِ الْعَرَبِ .. امْتِثَالا لِنَصِيحَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ .. وَقَامَ كُلٌّ وَاحِد مِنْهُمْ بِوَاجِبِهِ فِى غُرْبَتِهِ .. نَحْوَ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْمُحِيطِينَ بِهِ .. فَانْتَصَرَ الْحَقُّ الْمُبِينُ عَلَى الْبَاطِلِ الْأَثِيمِ وَفَتَحَ رَسُولُ اللهِ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْعَرَبُ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا وَأَعَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَاسَتَهَا إِذْ حَطَّمَ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَصْنَامٍ فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا طَهَارَتُهَا .. وَعَادَتْ إِلَى سَابِقِ أَيَّامِهَا يَوْمَ جَدَّدَهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيل امْتِدَادًا لِكَعْبَةِ آدَمَ الَّتِى بَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ رَمْزًا لِلتَّوْحِيدِ .. وَمَطَافًا لِلعَابِدِينَ وَمَزَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ .. وَمَثَابَةً لِلْمُذْنِبِينَ .

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتْبَاعَهُ وَصَحَابَتَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى بِلَادِ الْعَالَمِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَهْلَهَا وَيُبَلِّغُونَهُمْ رِسَالَةَ اللهِ إِلَيْهِمْ .. كَمَا أَرْسَلَ كُتُبًا رَقِيقَةً تَحْوِى أَسْطرًا قَلِيلَةً لِلْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ فِى الدُّوَلِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَدْيَانِ الْأُخْرَى يَدْعُوهُمْ وَشُعُوبَهُمْ بِهَا إِلَى الْإِسْلَامِ مِثْلَمَا كَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى هِرَقْلَ وَالْمُقَوقِسِ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِى .. وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ انْتِشَارًا سَرِيعًا وَوَاسِعًا ..

وَبَعْدَ مَوْتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ بِمِثْلِ مَا قَامَ بِهِ إِذْ أَرْسَلُوا الْوُفُودَ إِلَى مُخْتَلَفِ الْبِقَاعِ وَبَذَلُوا

أَقْصَى طَاقَاتِهِمْ فِى تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَشْرِهَا .. فَاتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْإِسْلَامِ إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ يَبْلُغْهَا دِينٌ آخَرَ .. فَفِى كُلِّ قَارَاتِ الْعَالَمِ أَسْلَمَتْ دُوَلٌ كَثِيرَةٌ .. فَوَجَدْنَا أَنَّ قَارَّةَ آسْيَا أَسْلَمَتْ مُعْظَمُ دُوَلِهَا .. بَلْ وَصَلَ الْإِسْلَامُ إِلَى أَقَاصِى الْقَارَّةِ ، إِلَى جَزَائِرِ مَالْدِيف جَنُوبَ غَرْبِىِّ جَزِيرَةَ سِيلَانَ .. وَإِلَى الْمَلَايُو .. وَعَمَّ الْإِسْلَامُ أَنْدُونِيسْيَا وَانْتَشَرَ فِى الصِّينِ وَالْيَابَانِ وَفِى جَزَائِرِ الْفِلِيبِّينَ وَدَخَلَ الْاسْلَامُ رُوسْيَا .. وَفِى أَفْرِيقْيَا اعْتَنَقَتْ مُعْظَمُ دُوَلِهَا الإِسْلَامَ . وَفِى أُورُوبَّا كَمَا فِى أَمْرِيكَا وَكَمَا فِى إِسْتَرَالْيَا انْتَشَرَ الإِسْلَامُ انْتِشَارًا كَبِيرًا .. حَتَّى أَصْبَحَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ حَالِيًا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِمَائَةِ مِلْيُونَ مُسْلِمٍ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ سُدُسِ عَدَدِ سُكَّانِ الْعَالَمِ بِمُخْتَلَفِ دِيَانَاتِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ وَبِمَا فِيهِمُ الَّذِينَ لَمْ تَصِلْهُمْ بَعْدُ رِسَالَاتِ الأَدْيَانِ ..

وَمَا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ إِلَّا لأَنَّهُ الدِّينُ الْحَقُّ .. الَّذِى يُؤَيِّدُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. وَمَا كَانَ لِبَاطِلٍ أَنْ يَنْتَشِرَ هَذَا الانْتِشَارَ وَيَبْقَى طِوَالَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا يَزِيدُ فِيهِ مُعْتَنِقُوهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْ كُلَّ لَحْظَةٍ .. وَتَدْخُلُ فِيهِ كَثْرَةٌ وَافِرَةٌ مِمَّنْ يَدْرُسُونَ وَيَتَأَمَّلُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ .. وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ انْتَشَرَ بِالسَّيْفِ .. إِنَّمَا هُوَ

قَوْلٌ مَرْدُودٌ وَرَأْيٌ مَكْذُوبٌ وَخرَافَة حَاقِد أَوْ حَسُود .. فَلَقَدْ دَخَلَ الْحَبَشَةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُون رَجُلًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَة .. هَاجَرُوا عَلَى عَهْد سَيِّدنَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارِينَ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ مَكَّةَ .. فَهَلْ تُعْتَبَرُ هٰذِهِ القِلَّةُ الْفَارَّةُ بِأَنْفسِهَا جَيْشًا حَارَبَ الْحَبَشَةَ لِيَفْتَحَهَا لِلْإِسْلَامِ ؟ .. وَلِيُصْبِحَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا يَزِيدُ عَلَى سَبعَةَ عَشَرَ مُلْيُون مُسْلِمٍ ؟ .. وَإِنَّ فِى رُوسيَا مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ مِلْيُونًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ السُّوفْيِيت .. فَهَلْ سَارَت الْجُيُوش الْاسْلَامِيَّةُ إِلَى رُوسْيَا وَحَارَبَتْهَا وَغَزَتْهَا ؟ ..

وَهَلْ تَمَكَّنَ الْجَيْشُ الإِسْلَامِىّ أَنْ يَسِيرَ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا لِيَفْتَحَ كُلَّ هٰذِهِ الدُّوَلِ وَيَنْشرَ الْإِسْلَامَ فِى كلّ هٰذِهِ الْبِقاعِ وَهَلْ يَأْمُرُ الْإِسْلَامُ بِشَىْءٍ وَيُخَالِفُهُ ؟ .. فَقَدْ أَمَرَ بِأَلَّا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ وَذٰلِكَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ (لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ) .. إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَشْهَرْ سِلَاحًا إِلَّا لِلدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللهِ وَرِجَالِهِ إِذَا مَا حَاوَلَ أَعْدَاءُ اللهِ أَنْ يَعْتَدُوا .. وَكُلُّ مَا خَاضَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَعَارِكَ إِنَّمَا كَانَتْ حُرُوبًا دِفَاعِيَّةً اضْطَرُّوا لَهَا اضْطِرَارًا وَحَتَّى لَا يَطْمَعَ فِيهِمُ الْعَدُوّ .. وَخَيْرُ شَاهِد عَلَى ذٰلِكَ مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ جِيمس مِتْشنر إِذْ يَقُولُ

(اعْتَقَدَ الْغَرْبُ أَنَّ تَوَسُّعَ الإِسْلَامِ مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ لَوْ لَمْ يَلْجَإِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّيْفِ وَلٰكِنَّ البَاحِثِينَ لَمْ يَقْبَلُوا هٰذَا الرَّأْىَ .. فَالْقُرْآنُ صَرِيحٌ فِى تَأْيِيدِهِ لِحُرِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالدَّلِيلُ قَوِى عَلَى أَنَّ الإِسْلَامَ رَحَّبَ بِشُعُوبٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَدْيَانِ مَا دَامَ أَهْلُهَا يُحْسِنُونَ الْمُعَامَلَةَ وَقَدْ حَرَصَ مُحَمَّدٌ عَلَى تَلْقِينِ الْمُسْلِمِينَ التَّعَاوُنَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَىِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . وَلَا شَكَّ أَنَّ حُرُوبًا قَدْ نَشَبَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فِى بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ سَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ أَهْلَ هٰذِهِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى أَصَرُّوا عَلَى الْقِتَالِ).

وَإِذَنْ فَقَدْ قَامَ الْمُسْلِمُونَ الْأُوَلُ بِوَاجِبِهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ وَأَدَّوْا رِسَالَتَهُمْ عَلَى خَيْرِ مَا يَكُونُ الْأَدَاءُ ، فَأَبْلَغُوا رِسَالَةَ الإِسْلَامِ إِلَى الْمَدَى الَّذِى وَصَلَتْ إِلَيْهِ جُهُودُهُمْ وَإِلَى الْحَدِّ الَّذِى سَمَحَتْ بِهِ إِمْكَانِيَّاتُهُمْ ، فَهَلْ قَامَ الْمُسْلِمُونَ حَالِيًا بِوَاجِبِهِمُ الَّذِى يُحَتِّمُهُ عَلَيْهِمْ إِسْلَامُهُمْ ؟ وَذٰلِكَ بِتَبْلِيغِ دَعْوَةِ الإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِمْ وَبِكُلِّ طَاقَاتِهِمْ ، فَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْجِهَادَ فِى سَبِيلِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ فِى عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ، (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

وَقَدْ يَعْتَقِدُ الْبَعْضُ أَنَّ الْجِهَادَ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَلٰكِنَّ بَعْضَ آيَاتِ الْجِهَادِ نَزَلَتْ فِى مَكَّةَ قَبْلَ الْإِذْنِ بِالْقِتَالِ مِثْلَ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ، (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) . الْأَمْرُ الَّذِى يؤَكِّدُ أَنَّ الْجِهَادَ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْحَرْبِ ، وَمَا الْقِتَالُ إِلَّا صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْجِهَادِ الْعَدِيدَةِ .. وَإِذَا كَانَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ هُوَ بَذْلُ الْجُهْدِ وَاسْتِمَالُ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْإِنْفَاقِ فِى سَبِيلِ إِعلَانِ كَلِمَةِ اللهِ فَلَقَدْ جَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَلُ حَقَّ الْجِهَادِ وَكَانَتْ أَهَمُّ سُبُلِ جِهَادِهِمْ نَشْرَ كِتَابِ اللهِ وَإِذَاعَةَ مَا بِهِ مِنْ إِعْجَازٍ وَمُجَاهَدَاتِهِمْ لِهَوَى أَنْفُسِهِمْ وَتَرْبِيَةِ أَخْلَاقِهِمْ فَكَانُوا الْمَثَلَ الصَّالِحَ الَّذِى يُقْتَدَى بِهِ وَبِسَبَبِهِمْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

وَهٰكَذَا فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَّا أَنْ يَتَحَلَّى بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ أَوَّلًا .. وَأَنْ يَغْرِسَ هٰذِهِ الْأَخْلَاقَ فِيمَنْ يَرْعَاهُمْ مِنْ أُسْرَتِهِ أَوْ يُعَلِّمُهُمْ مِنْ طَلَبَتِهِ حَتَّى يَعْرِفَ غَيْرُ الْمُسْلِمِ الْعُنْوَانَ الصَّحِيحَ الصَّادِقَ لِلْإِسْلَامِ فِى شَخْصِ الْمُسْلِمِ .. فَقَدِ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِى جُزُرِ الْفِيلِبِّينَ بِوَاسِطَةِ عَالِمٍ مُسْلِمٍ هُوَ كَرِيمُ الْمَخْدُومِىّ إِذْ وَجَدَ فِيهِ الْقَوْمُ رَجُلًا صَادِقًا أَمِينًا سَمْحًا لَا يَسْرِقُ وَلَا يَزْنِى وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُؤَدِّى فَرَائِضَ رَبِّهِ فِى أَوْقَاتِهَا وَجَمَعَ كُلَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَاعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ إِيمَانًا مِنْهُمْ بِأَنَّ هٰذَا الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ سَبِيلُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ الْكَرِيمِ وَأَصْبَحَ فِى هٰذِهِ الْجُزُرِ حَالِيًا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ مِلْيُون مُسْلِمٍ فَأَصْبَحَ لِهٰذَا الْعَالِمِ مِنَ الثَّوَابِ قَدْرَ مَا هَدَى .. وَإِنَّهُ لَأَجْرٌ كَبِيرٌ .. وَكَذٰلِكَ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِى الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْمَلَايُو وَالْغَرْبِ عَنْ طَرِيقِ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَسِيلَةَ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . فَالْمُسْلِمُ هُوَ عُنْوَانُ دِينِهِ، وَلِذٰلِكَ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِى بِأَخْلَاقِنَا وَأَخْلَاقِ مَنْ تَقَعُ عَلَيْنَا مَسْئُولِيَّةُ تَرْبِيَتِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ حَتَّى يَكُونَ ذٰلِكَ سَبِيلُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ . وَمَنْ تَهَاوَنَ فِى ذٰلِكَ وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ وِزْرُ مَا يَرْتَكِبُهُ فَقَطْ بَلْ وَعَلَيْهِ أَيْضًا حِسَابُ إِسَاءَتِهِ

إِلَى دِينِهِ وَمَنْعِهِ مِنَ الانْتِشَارِ وَكَذَلِكَ وِزْرَ كُلِّ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ وَحَذَا حَذْوَهُ .. وَعَلَيْهِ تَبِعَةُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَاقِبَتُهُ .

وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ الأُوَلُ قَدْ تَمَكَّنُوا مِنْ نَشْرِ دِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْكَبِيرِ وَعَلَى هَذَا النِّطَاقِ الْوَاسِعِ بِمَا أَذَاعُوهُ فِى النَّاسِ مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَذَا إِلَى أَنَّ عُصُورَهُمْ لَمْ تَعْرِفْ إِلاَّ وَجْهًا وَاحِدًا مِنْ أَوْجُهِ إِعْجَازِهِ وَهُوَ الْوَجْهُ الْبَيَانِىُّ وَإِذَا كَانَ اتِّسَاعُ آفَاقِ الْفِكْرِ فِى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَتَقَدُّمِ الدِّرَاسَاتِ فِيهِ وَوُصُولِ الإِنْسَانِ إِلَى عَدِيدٍ مِنَ الْحَقَائِقِ فِى مُخْتَلَفِ قِطَاعَاتِ الْعِلْمِ قَدْ مَكَّنَ الإِنْسَانَ مِنْ مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَظَهَرَتْ أَوْجُهًا جَدِيدَةً لإِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُنَاسِبُ هَذَا الْعَصْرِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِدَاعِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَيَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ وَيَتَفَكَّرَ فِيمَا تُقَرِّرُهُ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ ، وَيُحَاوِلُ إِظْهَارَ صُوَرِ الإِعْجَازِ الْمُخْتَلِفَةِ لآيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَنَشْرِهَا عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ يَصِلُ جُهْدَهُ إِلَيْهِ وَبِكَافَّةِ الْوَسَائِلِ الَّتِى يَصِلُ إِلَيْهَا .. وَبِذَلِكَ يَنْتَشِرُ الإِسْلاَمُ انْتِشَارًا وَاسِعًا وَسَرِيعًا عَنْ طَرِيقِ أَوْجُهِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِى تُلاَئِمُ كُلَّ قَوْمٍ وَتُقْنِعُ كُلَّ طَائِفَةٍ وَتُنَاسِبُ كُلَّ ثَقَافَةٍ ..

وَأَنْظِمَةُ الإِسْلَامِ الَّتِي تَحُلُّ كَافَّةَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تُوجَدُ فِي الْعَالَمِ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَعْرِيفِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا .. فَإِنَّ الْبُحَاثَ وَالْعُلَمَاءَ قَدِ اعْتَرَفُوا فِي أَكْثَرِ مِنْ مُنَاسَبَةٍ أَنَّ الإِسْلَامَ يَحُلُّ أَخْطَرَ مَشَاكِلِ الْعَالَمِ الَّتِي يُعَانِيهَا ، فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَنْشُرَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ وَكَيْفَ تُعَالِجُ الإِسْلَامُ مَشَاكِلَ الْعَالَمِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَأَزَمَاتِ التَّفْرِقَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ وَصِرَاعِ الطَّبَقَاتِ .

وَيَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَتَبَّعَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالأَكَاذِيبَ الَّتِي يُشِيعُهَا خُصُومُ الدِّينِ وَأَعْدَاءُ الإِسْلَامِ وَأَنْ يُنَاهِضَهَا وَيُظْهِرَ الْحَقَّ الْوَاضِحَ الصَّحِيحَ لَهَا .

وَوَاجِبُ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَلَا تَخْتَصُّ بِهِ هَيْئَةٌ أَوْ جَمَاعَةٌ أَوْ أَفْرَادٌ دُونَ غَيْرِهِمْ بَلْ أَنَّه أَمْرٌ نفرضهُ الإِسْلَامُ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ جَمِيعًا . فَكُلُّ فَرْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِ الإِطْلَاقِ إِنَّمَا لَهُ دَوْرُهُ الْفَعَّالُ الإِيجَابِيُّ فِي تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَإِمْكَانِيَاتِهِ .. إِمَّا بِعِلْمِهِ الَّذِي تَدْعُو بِهِ إِلَى الإِسْلَامِ فَيَنْشُرَهُ وَإِمَّا بِمَالِهِ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ عِلْمَ غَيْرِهِ دَعْوَةً لِدِينِهِ .. وَإِمَّا بِخُلُقِهِ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهِ .. وَإِمَّا بِتَرْبِيَةِ

أُسْرَته وَأَوْلَادِهِ وَتَبْصِيرِهِمْ بِوَاجِبِهِمْ نَحْوَ دِينِهِمْ .. وَإِمَّا بِالتَّفَقُّه فِى أُمُور دِينِهِ وَإِمَّا بِالْعِنَايَة بِطَلَبَتِهِ فِى مَدَارِسِهِمْ وَتَلْقِينِهِمْ وَاجِبَ الدَّعْوَةِ .. وَإِمَّا بِحُسْن الْإِصْغَاءِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى دُرُوس الدِّين يُلْقِيهَا عَلَيْهِمْ الْمُتَفَقِّهُونَ .. وَعَلَى كُلِّ مُسْلِم أَنْ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ دَائِمًا وَأَنْ تَكُونَ دَعْوَتهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَإِنْ جَادَلَ غَيْرَهُ فَبِأَحْسَنِ طُرُقِ الْجِدَالِ وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ يَقُولُ :

(أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّك هُوَ أَعْلَم بِمَنْ ضلّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهتَدِينَ) .

(صدق الله العظيم)

دار
الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

الثمن ١٥ قرشا



رقم الايداع ١٩٧٠/٥٨٥٤